قصة اسكندر ذي القرنين والقرآن

بقلم حبيب الله المقدسي

اخذت العامَ الماضي في وضع مقالة تاريخيّة انتقاديّة في « سدّ ياجوج وماجوج » ونقد ما ورد عنه في مؤلّفات العرب من الخلط والخزعبلات ، فقادني ذلك الى البحث عن الطريق التي سار فيها اسكندر من آسية الصغرى الى آسية الوسطى وبلاد الهند ، وعن الاماكن التي مرّ بها ، وما شاهده واجراه فيها ، فاستكتبت لذلك كتاب الاستاذ Bridje تحت عنوان : *The Life and Exploits of Alexander* ، وطالعت عدة مقالات في المجلّات الجرمانية ، وغيرها ، وقرأت بامعان « قصة اسكندر » في الاصل اليوناني القديم[1] المنسوبة غلطاً الى المؤرخ اليوناني كاللستين (Callisthenes) معاصر اسكندر (ولد سنة ٣٦٠ ق.م) ورفيقه في المدرسة . وبينما انا اطالع هذه القصة لفتت نظري بضع صفحات أذكرتني بما ورد في سورة الكهف (الآيات ٥٩ - ٩٨) عن اسكندر ذي القرنين ، وعن « موسى » وفتاه ، فقابلتهما على بعضهما ، فاذا بينهما قرابة ظاهرة ، بل اتفاق غريب يكاد يكون في بعض السطور حرفياً ، مع اختلاف بيّن في تفاصيل القصة مصدره على ما ارى ان صاحب القرآن لم يأخذ روايته عن اسكندر عن الاصل اليوناني توًا او عن اقدم تراجم هذه القصة ، وهي ، ولا شك ، الترجمة السريانية التي شاعت ، كما يؤخذ من كلام يعقوب السروجي (ص ٣٧٨) ، قبل سنة ٥٢٢ م ، بل اخذه إما عن احد الرواة الذين تعرّف عليهم صاحب الشريعة الاسلامية في احد الاديرة ، او في تلك المدن التي كان ينزل عندها او يمرّ بها في «رحلتي الشتاء والصيف» (قريش ٢)، او في مكة نفسها وهو الارجح ، لانه قد عرف عن محمد بن عبد الله انه كان يتردد

---

١) طبعت سنة ١٩٢٦ ، في برلين .

« بكرةً واصيلًا »[1] على شخص او اشخاص يسمع منهم اساطير الاولين ، وقصص ابطال فارس واليونان ، وان هؤلاء الاشخاص ، او ذلك الشخص ، كانوا من الاعاجم بشهادة محمد نفسه[2]. ولا يبعد ان يكون احدهم من السريان الذين كانوا يتردّدون على مكة للمتاجرة ، او لنشر دعوتهم الدينية ، نستدل على ذلك بان صيغة « ياجوج وماجوج » لم ترد الا في الترجمة السريانية ، واما في سائر التراجم فانها « جوج »(Gog) ؛ وان الرجل او الوسط الذي اخذ عنه محمد هذه القصة لم يكن يعرف الا الرواية السريانية. وهناك تعليل آخر ، بل تعاليل اخرى ، لما نراه من الاختلاف بين رواية القرآن والاصل اليوناني ، منها ان تحريفاً ظاهراً وزيادات كثيرة دخلت على الاصل اليوناني قبل ان يتخذ صورة ثابتة معلومة ، ومنها ان اصحاب التراجم زادوا على الاصل تفاصيل وحكايات من عندهم ، او من قصص اخرى محلّية وغير محلّية ، وحرّفوا الاصل — ان لقصة اسكندر اصل قديم وُضع قبل ظهور النصرانية — تبعاً لاهوائهم ونزعاتهم القومية والدينية. ولعل ذلك حدث في ادبرة الشرق ، والحلقات الدينية التي ادخلت على القصص القديمة عناصر دينية ادبية مسيحية ، وانتزعت منها كل ما لا يتفق مع الادب والدين المسيحي ، او وضعت قصصاً جديدة من عندها لارشاد الشعب ، وصدّه عن قراءة قصص الجاهلية المخالفة للدين والادب الجديدين. ولا يبعد ان تكون قد اتخذت للغرض نفسه من ابطال القصص القديمة امثلة للادب السامي ، بل الهتها رفعتهم احياناً الى درجة الانبياء والاولياء ، كما نرى ذلك في سيرة اسكندر ذي القرنين وفتاه ادريس اللذين يعدّهما القرآن ، وبعض المصادر التي اخذ عنها روايته ، من المؤمنين بل من الانبياء الصالحين[3] ، وذلك بخلاف ما عُرف عن اسكندر من انه كان وثنياً يعبد عطارد والزهرة ،

---

١) . . . « وقالوا اساطير الاولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرةً واصيلا » (الفرقان ٥ — ٦)

٢) « ولقد نعلم انهم يقولون انما يعلمه بشر لسان الذي يلحدون اليه اعجمي وهذا لسان عربي مبين » (سورة النحل ١٠٥)

٣) « قال (اسكندر) هذا رحمة من ربي » (الكهف ٩٧) « وقال ما مكنّي فيه ربي خير » (٩٤) « واذكر في الكتاب ادريس انه كان صدّيقاً نبياً » (مريم ٥٧) الا اننا نرى القرآن ، فيما بعد ، يخرج ادريس من صفّ الانبياء . . . (الانبياء ٨٥)

وانه كان فاسقاً يرتكب المحرّمات علانيةً امام جيوشه . . .

كنت اودّ لو تسمح لي ادارة « المشرق » ان انشر بضع صفحات من الاصل اليوناني مع الترجمة العربية ، واقابلها على بعض آيات القرآن . ولكن بما ان ذلك يشغل محلًا كبيرًا من المجلة ، وبما ان اكثر قراء « المشرق » يجهلون اللغة اليونانية ، رأيت ان احيل المستزيدين الى المصادر التي ذكرتها في هذه العجالة ليطالعوها ان احبّوا التوسع والتيقّن في هذا الموضوع اللذيذ . وان اقتصر هنا على ما قلّ ودلّ آملًا ان اعود الى هذا الموضوع في فرصة اخرى ان شاءت الاقدار . . .

١ « ثم اتبع سبباً حتى اذا بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سِتراً » (الكهف ٨٨—٨٩)

Οὕτως ὁ Ἀλέξανδρος ἀναγκαίως εἰρηνικῶς πρὸς αὐτοὺς πορεύεται καὶ ὁρᾷ πάντας γυμνοπεριβόλους. (ص ١٠٤)

وهكذا بعد ان قرأ اسكندر (رسالتهم اي رسالة البراهمة) سار اليهم سالمًا فرآهم جميعهم عُراة

٢ « فاتبع سبباً حتى اذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب في عين حَمِئة ووجد عندها قوماً » (الكهف ٨٣—٨٤)

Παραγενά(ε)μενος δὲ ἐν ἐκείνῳ τῷ τόπῳ ὥρᾳ τρίτῃ τῆς ἡμέρας καὶ προσβάλλοντες τῷ ποταμῷ εὕρα-μεν τὸ ὕδωρ πικρότερον ἁλεβόρου. (ص ١٠٨)

فلما بلغنا ذلك المكان في الساعة الثالثة نهارًا ودنونا من النهر وجدنا الماء (العين) امرّ من العلقم

٣ « ثم اتبع سبباً حتى اذا بلغ بين السدّين وجد من دونها قوماً لا يكادون يفقهون قولًا » (الكهف ٩١)

Ὀρυσάντος μου τὸν λίγνιν ἐπὶ τὸ προειρημένον (καὶ) καταλαβόντες εὕρομεν νεκυομένους ἐκεῖ ἰθυμόρφους ἰχθυοφάγους ἀνθρώπους. Ἐγὼ δὲ προσκαλεσαμένου τινὰς εὗρον βαρβάρους τῇ διαλέκτῳ (ص ١٠٦)

ولما حفرت مع بعض (اصحابي) الى المحل المذكور انفًا (رأس البحر) وبعد ان استطلعنا عمن يقيم هناك وجدنا اناسًا ذوي وجوه نائية يقتاتون بالسمك ولما دعوت (خاطبت) بعضهم وجدتهم يرابرة اللغة (١)

١) اي وجدت لتتهم لغة اليرابرة التي لا يفقها احد

٤ « . . . آتوني زُبَرَ الحديد . . .
اتوني افرغ عليه قِطرًا » (الكهف ٩٥)

() δὲ χρῶν ἀναβολὴν οὐκ ἔσχε. πιθόμενος (δὲ) ἐφοδιασάμενος τὰ τοιαῦτα... (١٠١-١٠٠) (ص
إلّا ان المسكر (المحل الذي نزلوا فيه) لم يكن له خندق فزوّدناه (استعضنا عنه) بالحديد . . .

٥ « واذ قال موسى[٢] لفتاه لا ابرح حتى ابلغ مجمع البحرين او امضي حُقُبًا فلما بلغا مجمعَ بينهما نسيا حوتهما فاتخذ سبيله في البحر سَرَبًا »
(الكهف ٥٩—٦٠)

Καὶ ἐκβάντων αὐτῶν ἐπὶ τὴν νομιζομένην νῆσον ὅρας διελθούσης ἄφνω ἤδυνε τὸ ὄψαριον εἰς τὸν ὕδωρ. (ص ١٠٢)
ولم تمض ساعة على نزولهم (اسكندر ورفقائه) الى الجزيرة المذكورة الّا غطس الحوت في اليمّ

بقي ان نعرف من هو ذاك الفتى الذي صحب «موسى» (اي اسكندر) في سفره الى « مجمع البحرين »

لقد اجمع اصحاب التفاسير او كادوا يجمعون على ان الفتى المذكور في الآية السابقة هو الخضر . ولكنهم اختلفوا في من هو الخضر ، فاكثرهم يزعم انه النبي الياس الذي عاش قبل اسكندر المقدوني بثمانية من السنين . وبعضهم قال انه القديس جريس . وآخرون قالوا انه « النبي » ادريس ، وارادوا بادريس هذا « النبي » ادريس المذكور مرّتين في القرآن (مريم ٥٧ — ٥٨ والانبياء ٨٥—٨٦) وهو على زعمهم اخنوخ التوراة و« جدّ ابي نوح » كما عرّفه احد المفسرين[٣] ، الذي رفعه الله « مكاناً عليًا » . وهو الذي قال فيه جلال الدين السيوطي بانه «حيّ . . . في الجنة أدخلها بعد ان اذيق الموت واحيي ولم يخرج منها » وقال فيه الفرّاء انه « سمي ادريس لكثرة درسه الكتب » الى غير ذلك من الخلط والخرافات الصبيانية . اما ادريس التاريخي فهو ولا شك ، كما حقق ذلك شيخ

١) هكذا في الاصل
٢) وهذا غلط ظاهر، لان الكلام هنا عن اسكندر، ولعل الغلط وقع من جامعي القرآن .
٣) طالع كتاب Abraham Geiger تحت عنوان : *Was hat Mohammed aus dem Judenthume aufgenommen.* Leipzig. 1902. (ماذا اخذ محمد عن اليهودية)

المستشرقين Th. Nöldecke والعلماء A. Sprenger, Ad. Ansfeld, Grimme Hartmann وغيرهم ، اسم احد رجال اسكندر الذين صحبوه في فتوحاته البعيدة ، ولعله كان احد ياورانه المقربين. اما اسمه فتحرّف ولا ريب في ذلك عن Andreas (Andreas – Addreas - Addris – Iddris), Andreas وهي كلمة تتضمن معنى الرجولية والشجاعة[1] ، والسين فيها علامة الرفع كما في الياس وجريس او جرجس، وابليس(من dia)bolos) وغيرها . ونحن نرجح بان التحريف وقع في الترجمة السريانية القديمة ، او في ترجمة اخرى اخذ عنها العرب هذه الكلمة المحرفة.

وقد يعترض على هذا الاستنتاج بان اسم Andréas - ادريس لم يرد ، على ما نعلم، بين اسماء قواد اسكندر المبرّزين. والجواب على هذا الاعتراض اننا لا نعرف جميع قواد اسكندر الذين رافقوه الى بلاد السند والهند ، وتوغلوا فيها. ثم ليس من الضروري ان يكون ادريس قائداً من قوّاد اسكندر المشهورين كبطليموس ، وسلوقيوس ، وانتيوخوس ، وغيرهم ، بل يكفي ان يكون غلاماً – فتى – او ياوراً من ياورانه او شخصاً ملازماً له يقوم على خدمته الخاصة. الا اننا لا نبتّ في هذه المسألة، كما وفي بعض مسائل اخرى طفيفة ، قبل ان نطّلع على اقدم تراجم « قصة اسكندر » كالقبطية ، والروسية ، والسريانية[2] وعلى الاخص السريانية ، وبعض الروايات اليونانية المتأخرة. فرجاؤنا الى اخواننا في سورية ومصر ، الراسخين في تاريخ الآداب السريانية والقبطية ، ان يبحثوا عن هذه التراجم القديمة ، وينشروها ، او قطعاً منها ، على صفحات « المشرق » تنويراً للاذهان ، وتبديداً للخرافات والخبل.

---

١) ἀνδρεῖος في اليونانية الرجل ، والرجل الشجاع .

٢) ما عدا الحبشية فانها حديثة العهد ، ومتأثرة برواية القرآن